بائع الحكمة

بقلم: محمود محمد كحيلة
مصر

الشخصيات:

- الملك.
- الوزير.
- الطبيب.
- الحاجب.
- الحكيم.
- الخادم.
- الحارس.

المشهد الأول (قاعة العرش)

الملك: أخبرني عن أحوال البلاد يا وزير البلاد.

الوزير: البلاد يا مولاي الملك في ظل حكمكم تنعم بمنتهى الأمن والأمان والعدل والهدوء والسكينة.

الملك: أنت تعلم جيدا أنني عندما أهادن مجاورينا من الممالك والبلاد.. فأنا لا أهادن عن ضعف أو خوف، إنما عن قوة تستند إلى الحكمة والعدالة.

الوزير: سيدي الملك لا يفعل إلا ما فيه العدل وصالح البلاد ومصالح الرعية من مختلف أبناء الشعب.

الملك: شعبي حارب إلى جانبي طويلا ولا بد أن يلقى من السلام والأمان جزاء صبره وجلده.. هذا هو العدل.

الوزير: (بخبث) نعم يا مولاي.. العدل.. ولكن الشعب إذا ما استراح انقلب على سادته وحكامه.

الملك: هذه أقوال غبية ومدسوسة من رجال أرادوها فتنة بين الملوك وشعوبهم. إن الشعوب إذا أحببتهم أحبوك، وإن أهملتهم كرهوك.

الوزير: ولكن يا مولاي؟!

الملك: كُف عن آرائك الغبية فيما يتعلق بسياسة الحكم.. ولا تجعلني أندم على اختياري لك.

الوزير: عفوا يا مولاي.. لم أقصد أن أغضبك.

الملك: (هادئا) اعلم يا وزيري أنني أغضب من أجلك.. فأنا سأترك هذا الملك عاجلا أو آجلا لك.. لأنه لا ابن لي ولا أخ كما تعلم.. وأنا اخترتك كي تتولى الحكم من بعدي جزاء إخلاصك وصبرك في خدمتي على أن تفعل ما فيه صالح هذا الشعب الطيب.

الوزير: أنا خادم مخلص لمولاي وتابع أمين.

الحكيم: (ينادي من الخارج) من يشتري الجواهر والدرر.. من يشتري مني اللؤلؤ والألماس.. من يشتري..؟؟!!

الملك:على ماذا ينادي هذا البائع؟!

الوزير: يبدو يا مولاي أنه يبيع الجواهر!!

الملك: جواهر في الشوارع!!.. هل وصل الناس إلى هذا الحد من الثراء والرخاء؟

الوزير: الخير يعم البلاد.. نعم.. وعدد الفقراء في زوال.

الملك: ولكن إلى حد شراء الجواهر من الباعة الجائلين!!.. هذا ثراء عظيم.

الوزير: في الحقيقة أنا لا أفهم يا مولاي الملك.

الملك: ولكن واجبنا ومكانتنا في هذه المملكة التي نحكمها تحتم علينا الفهم.. نحن مسؤولون عن كل ما يجري على أرض هذا البلد.. أحضر هذا البائع.

الوزير: (للحاجب) أحضر هذا البائع.

الحاجب: (للحارس) أحضر هذا البائع.

الحارس: (ينادي) أيها البائع!!

الحكيم: ماذا تريد أيها الحارس؟

الحارس: الملك يطلبك.

الحكيم: أنا قادم فورا.. السلام والتحية على مولاي ملك الرعية.

الوزير: ماذا تبيع يا رجل؟

الملك:دعه يلتقط أنفاسه أولا ثم يعرض علينا بضاعته.. لنشتري.

الحكيم: أنا يا مولاي أبيع جواهر الكلم من الدرر واللآلئ والمرجان والياقوت والألماس.

الوزير: إذن هيا أخرج لآلئك واعرضها لنا حتى نشتري أفضلها.

الحكيم: لكني يا مولاي لا أحمل بضائعي.. بل أحفظها.

الملك : نعم.. يحق لك أن تحفظ بضائعك الغالية في خزائن ثمينة حتى لا تسرق أو تبدد.. ولكن مع ذلك لا أرى معك خزائن.. فأين تحفظها؟!

الحكيم: أحفظها.. أحفظها هنا.. في عقلي.. أنا أبيع...

الوزير: هل تمزح مع الملك أيها الرجل السوقي.. هل جئت هنا لتعبث بنا (ينادي) أيها الحاجب.

الحاجب: أمر مولاي.

الوزير: خذه إلى السجن.

الملك: انتظر أيها الوزير.. انتظر حتى نفهم حديثه.. أفهمنا أيها الرجل ما سلعتك؟

الحكيم: الحكمة يا مولاي.. أنا أبيع الحكمة.. أبيع جواهر الكلم كما قلت.. وجواهر الكلم هي الحكمة.

الوزير: وهل أصبحت الكلمات سلعة تباع وتشترى ، ويجري المرء في الشارع لتسويقها؟!

الحكيم: ولم لا؟.. إذا كانت تساوي من المال الشيء الكثير.. بقدر ما قضاه المرء من سنوات في الاطلاع والمعرفة والبحث والقراءة للوصول إلى هذه الكلمات الحكيمة.

الوزير: ما زال الرجل يسخر في حضرة الملك.. خذوه إلى السجن.

«يتقدم حارسان نحو الحكيم»

الملك: انتظروا.. وما أغلى سلعك.. أقصد حكمك .. أيها البائع الفريد؟!

الحكيم : لدي واحدة ثمينة يا مولاي.. فهل تشتريها؟

الملك: سأشتريها منك مهما بلغ عظم ثمنها.. وهي لي.. هاتها على الفور.. هات.

الحكيم: (مفكراً) «فكر في عاقبة أي شيء»

الملك: «فكر في عاقبة أي شيء».. نعم نعم.. إنها حكمة عظيمة.. فكر..

الحكيم: في عاقبة أي شيء.

الوزير: نسجنه يا مولاي أم ننتظر؟!

الملك: بل انتظر.. قبل أن تسجنه فكر في عاقبة هذا الشيء.. سجنه؟!

الوزير: وما عاقبة سجن صعلوك كهذا؟!

الملك: هذا ليس صعلوكا، بل حكيماً.. وسجنه يحرم المملكة من حكمته.. هذه أولاً.

الوزير: وثانياً؟!

الملك: سأظلم وأسجن رجلاً بريئاً.. وما أسوأ عاقبة الظلم على الظالم!!

الوزير: وثالثاً

الملك: سأكتسب عدواً.

الحكيم: وعدو واحد أخطر على المرء من مئة حبيب.. هذه الحكمة هديتي لك يا مولاي.

الملك: هل سمعت الحكمة يا وزير؟.. لذلك فمن الحكمة أن نعطيه حقه ونصرفه سالماً غانماً راضياً عنا.

الوزير: كم أجرك يا حكيم؟

الحكيم: ألف.. ألف دينار يامولاي.

الوزير: ألف.. ألف دينار.. نسجنه أوفر يا مولاي.

الملك: لا، بل يأخذ ما طلب من المال.

الوزير : أمر مولاي.

الملك: أما عن الحكمة المشتراة والجوهرة المنتقاة فلتكتب على كل شيء (آمراً) يكتب في كل مكان ظاهر من القصر.. «فكر في عاقبة أي شيء» أما هذا الرجل الحكيم فلينصرف سالماً غانماً مشيعاً برضانا وعطفنا.

الوزير: أمر مولاي، (بضيق) هيا أيها الحكيم المفكر في عاقبة أي شيء.

«إظلام»

المشهد الثاني (غرفة نوم الملك)

الملك: آه.. آه.. أواه.. إنني أتألم.

الحاجب: الملك يتألم..

الحارس: (من الخارج) الملك يتألم.

الملك: آه..

الحاجب: الملك يصرخ من الألم.. ويقول...

الملك: آه..

الحارس: الملك يصرخ من الألم.. ويقول...

الملك: آه..

الحاجب: مُرْنا يا مولاي؟

الملك: (متألماً) الطبيب.. أحضروا الطبيب.

الحاجب: أحضروا الطبيب.

الحارس: أحضروا الطبيب.

الملك: الطبيب.

الطبيب: (يدخل) أنا هنا يا مولاي.

الملك: أنقذني أيها الطبيب من الألم.. الألم يفترسني.

الطبيب: أمرك يامولاي..

الملك: الأمر أمرك من الآن.. افعل ما فيه خلاصي.. أو مُرّ بقتلي لأتخلص من هذا الألم اللعين.

الطبيب: (مازحاً) أطال الله عمر الملك.. إنه مجرد خرّاج يا مولاي.. خرّاج فقط يؤلم ولا يميت.

الملك: لكني أموت من الألم.

الطبيب: ما إن يكتمل تجمع الصديد حتى نفقأه، ولحظتها تستريح تماماً يا مولاي «يضع المرهم» سنضع هذا الدهان وننتظر قليلاً.

الملك: افتحه الآن.. وإلا فتحته أنا بسيف هذا الحاجب، (آمراً) أيها الحاجب أعطني سيفك.

الحاجب: (مشهراً السيف) أمر الملك.

الطبيب: (متدخلا) كلا يا مولاي.. السيف لا يصلح.. وقد يزيد من مرضك.. لا بد أن يفتح الخراج بأدوات معقمة تماماً حتى لا يحدث مزيد من التلوث والمرض.. لم يبق إلا أقل القليل.

الملك: لا ينقذك من بطشي سوى المرض.. آه.

الطبيب: مولاي.. أنت تعلم أني لا أفعل إلا ما فيه صالحك.

الملك: آه.. أعلم، ولكني أتألم.. خلصني من الألم وإلا أمرت بقتلك فوراً..

الطبيب: اهدأ يا مولاي.. لقد حانت ساعة الحسم.. سنفقأ عين الخرّاج اللعين ونُريحك منه إلى الأبد «يخرج المشرط المعدني».

الوزير: (يقتحم المكان) انتظر أيها الطبيب.

الطبيب: مرحبا سيدي الوزير.

الملك: أنت ابتعدت يا وزيري وتركتني أتألم وحدي.. ألا تحمل عني بعض هذا الألم؟ ماذا كنت تفعل؟

الوزير: كنت أعد مشرطا ذهبياً.. ليليق بالخرّاج الملكي يا مولاي.

الطبيب: (منتشياً) مشرطاً ذهبياً لفتح خراج الملك!! نعم إنها بادرة طيبة منك سيدي الوزير.. فالخراج

الملكي لا بد أنه مختلف عن باقي الخرّاجات التي نعرفها!!

الملك: لقد عينته وزيراً لهذا السبب.. هو دائما يأتي بأفعال حسنة.

الطبيب: أحسنت ياسيدي الوزير، فالذهب هو ما يليق بالملوك.

الوزير: أنا طوع أمر مولاي وفي شرف خدمته.

الملك: (متألماً) آه.. يجب أن تكفوا عن الثرثرة لأنني أتألم.

الطبيب: حسنا، سنفتح الخراج الآن.. ولكن أحتاج إلى منشفة نظيفة، ولتكن منشفة من نسيج ثمين كي أستخدمها في التخلص من محتويات الخراج الملكي.

الملك: أعطوه مناشف.

الوزير: أحضروا له منشفة حريرية فورا.

الحاجب: المناشف الحريرية فورا.

الحارس: المناشف الحريرية فورا.

الطبيب: لكن المناشف لا تنشف إلا إذا كانت من القطن.

الملك: (متألماً) إذن هاتوا مناشف قطنية.. قطنية.

الحاجب: قطنية.

الحارس: قطنية.

الخادم (يدخل ويتجه إلى الملك) المناشف القطنية يا مولاي.

الملك: أعطها للطبيب (يتألم) آه.

الخادم: تفضل يا سيدي الطبيب، (للملك) سلامتك يا مولاي الملك.

الطبيب: ما هذا المكتوب على ثياب الخادم (يقرأ) «فكر في عاقبة أي شيء».

الملك: هيا أيها الطبيب.. أسرع قبل أن آمر بقتلك.. آه.. اذهب أيها الخادم (يخرج الخادم).

الطبيب (يستعرض المنشفة) إنها حكمة عظيمة فعلا يا مولاي.. ومكتوبة على المنشفة أيضاً.. لا بد أن آخذ بها وأستفيد منها.

الملك: ماذا تفعل يا طبيب الهم؟.. آه.

الطبيب: أستعد يا مولاي.

الملك: تستعد لماذا؟!

الطبيب: لأداء عملي على أكمل وجه، وأفكر في عاقبة أي شيء (يخرج مشرطه ومناشفه الخاصة).

الوزير: (آمراً) استخدم المشرط الذهبي.

الطبيب: لن أستخدمه يا سيدي الوزير.

الوزير: ولماذا لا تستخدمه؟

الطبيب: لأني أفضل أن أستخدم مشرطي الخاص.

الوزير: ولكني أصر على أن تستخدم المشرط الذهبي.. لأن مشرطك هذا لا يليق بجلال جرح الملك.

الطبيب: إذن إفعل به أنت ما تريد يا سيدي الوزير.. أما أنا فلن أستخدم إلا مشرطي الذي أعرفه ويعرفني.. ولن أستخدم غيره.

الوزير: (منفعلا) بل ستستخدم المشرط الذهبي وإلا طردتك من القصر، وأحضرت طبيبا غيرك.

الطبيب (مبرزاً المشرط الذهبي) خذ مشرطك وسأغادر.

الملك: انتظر أيها الطبيب.. هات هذا المشرط الذهبي.

الطبيب: أمرك يا مولاي.

الملك: (يضع المشرط الذهبي تحت الوسادة) اتركه الآن يا وزير.. وسأعاقبه بنفسي إن عشت.. ولكن دعه.. يخلصني الآن من هذا الألم.. آه.. حتى لو تم ذلك بمشرطه العادي.

الوزير: أمرك يا مولاي (ينصرف غاضباً).

الملك: هيا يا طبيب.. اقتل الألم.. قبل أن أقتلك.. آه.... فكر في عاقبة ما تفعل.

الطبيب: أمرك يامولاي (يقترب منه).

الملك: (يصرخ صرخة عظيمة).. آه.. (يغيب عن الوعي).

الطبيب: لن أغادر.. قبل أن أطمئن على الملك.. من الأفضل.. أن يفكر المرء في عاقبة كل شيء.

«إظلام»

المشهد الثالث (قاعة العرش)

الملك: جاء وقت الحساب أيها الطبيب.

الطبيب: مولاي يعلم أنني خادمه المطيع.

الملك: كنت كذلك قبل أن تستغل ضعفي ومرضي وتستهين بقدرتي وأنا الملك.

الطبيب: أنا أبعد الناس عن هذا الاتهام يا مولاي.

الملك: أنت تستخدم مشرطاً حديدياً في فتح جرحي وتترك المشرط الذهبي ، قل سريعاً لم فعلت ذلك؟!

الطبيب: مولاي.. سأشرح لك كل شيء.

الملك: حياتك الآن بين فكيك.. تكلم سريعا وإلا قتلتك.

الطبيب: ما حدث يا مولاي الملك إنني كدت أن أستخدم المشرط الذهبي ولكني قرأت على ثياب الخادم.. «**فكر في عاقبة أي شيء**» ، وما إن تناولت المنشفة حتى قرأت الحكمة ذاتها «**فكر في عاقبة أي شيء**» ولما فكرت في عاقبة استخدام المشرط الذهبي وجدت أنه في أفضل الأحوال قد يكون ملوثاً.

الملك: (مفكراً) أو قد يكون مسموما.

الطبيب: نعم مثلا.

الوزير: أنا أقتلك يامولاي الملك العادل.

الملك: يكاد المذنب أن يقول خذوني.

الوزير: (منفعلاً) سأقتل الطبيب الشيطان.

الطبيب: أنا أقول مثلا.

الملك: وأنا أقول لا بد من الاستيثاق من هذا الأمر.. (يخرج المشرط الذهبي) خصوصاً وأنا ما زلت أحتفظ بهذا المشرط الذهبي.. أعطني يدك أيها الوزير الطيب.

الوزير: (خائفاً) يدي.. لم يا مولاي؟!

الملك: كي أستوثق من نقاء المشرط الذهبي.. وصفاء صفحتك.

الوزير: (مذعوراً) لا.. لا يمكن (يهم بالهرب).

الملك: أمسكوا الوزير.

الحارس: (ممسكاً بالوزير) أمرك يا مولاي.

الملك: إذن فالمشرط مسموم.. هيا اعترف الآن.

الوزير: نعم يا مولاي هو مسموم.. لقد دفعني الطمع إلى الرغبة في قتلك.

الملك: ولم فعلت ذلك؟

الوزير: طمعاً في الملك.

الملك: بل تعجلا للملك الذي كنت أدخره لك دون طمع أو تعجل.. عجيب أمر طمعك وتعجلك يا رجل.. لقد كنت قاب قوسين من الملك، ولكنك بالطمع أصبحت أقرب ما تكون إلى الموت.

الوزير: اعف عني يا مولاي.. وسامحني.

الملك: لاعفو عندي ولا سماح.. إني أحب أن يجري العدل حتى لو كان عليّ، والعدل يقضي بأن يلقى المرء جزاء أفعاله.. لذلك لن تقتل..

الوزير: شكراً لك يا مولاي.

الملك: لن تقتل إلا بذات المشرط المسموم الذي أردت أن تقتلني به.. (يعطي المشرط للحاجب) خذوه واقتلوه بهذا المشرط الذهبي المسموم، وأخبروني عن طقوس الميتة التي كان يرتبها لي.. حتى أعرف إلى أي مدى كان مخلصا لي.

الحاجب: أمرك يا مولاي (يأخذونه وينصرفون)..

الملك: أما أنت أيهاالطبيب فقد أحسنت ولا بد من إثابتك.. إذ يقضي العدل بعقاب الآثم، وإثابة المحسن.. فماذا تطلب من جائزة لإحسانك؟

الطبيب: جائزتي يا مولاي أن تعيرني هذه الحكمة.

الملك: هي لك هدية لا ترد.. أما نحن فندعو الله أن يمنحنا حكمة بديلة لها.. ولكني أعدك حتى يحدث ذلك أن أفكر جيداً في عاقبة أي شيء.

«ستار الختام»